المقدمة

كثيرة هي الأخلاق السيئة، تكاد لا تحصى لكثرتها وتنوعها ودقتها، وكلما تمادى بالإنسان الزمنُ، تولدت من رحم الأحداث والتطورات والمستحدثات والمستجدات أشياءٌ كثيرة، وتتولد على النحو الاختيار وليس على نحو الاجبار كالأطماع، والاستيلاء، والجشع، وإن كانت تلك المستجدات بحد ذاتها هي خير ومفيدة للناس والمجتمع، ولكن اينما تذهب تجد أصحاب النفوس الضعيفة، تستغل أي فرصة ممكنة للنهم والبغي بغير حق فتحّول ما هو خير ورحمة الى شر ونقمة.

ومع تلك الكثرة الكاثرة من أنواع المعاصي والذنوب والأخلاق السيئة هناك داء خطير يكاد ان يكون في هرم الأمراض المعنوية والموبقات الاخلاقية، وهو مرض النفاق فهو من أخطر الامراض فتكاً على الانسان وكان وما يزال يُشّكل تهديدا

وخطرا على الناس والمجتمع، لان المنافق له ظاهر جميل يتعامل مع غيره وله باطن قبيح مستور ، فهو يحمل التناقض والازدواجية في شخصيته مع علمه بذلك، وجهل الكثير بما تنطوي عليه سريرته المريضة ولقد ذكرَ القران مصير وعاقبة المنافق في الاخرة قال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) النساء .

وهذه الدركية السفلية الجهنمية هي سنخُ ما كانت تحمل نفسية المنافق من ظلمات المعاصي والبغي والتعدي على الآخرين بصورة ازدواجية ظاهرية جميلة ومكرية .

وقد يتبادر الى الذهن لماذا الكلام عن النفاق وان عنوان البحث عن الشخصية الازدواجية؟؟ نقول : لو دقق المستفهم والسائل بين النفاق ومصطلح الحديث الشخصية الازدواجية سيجد هنالك انطباقا في كثير من الموارد والمصاديق بينهما والحديث

المشهور بين المسلمين الوارد عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان (ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٤٤٨).

فهذا الحديث الشريف ينطبق تمام الانطباق على ذوي الشخصيات الازدواجية في عصرنا اليوم حيث تسمع من الكلام ما لذّ وطاب، وتنشرح له القلوب والصدور من بعض الحُكّام والساسّة والوعّاظ ولكن واقع اعمالهم وافعالهم تناقض اقوالهم! فالصدق والوفاء والامانة ازهد بضاعة عندهم.

ان التناقض والازدواجية حالة سائدة وملحوظة بين كثير من الناس ونقصد بالازدواجية هو التناقض بين القول والفعل بين ان تحب شيئا لنفسك وتكره لغيرك وان تكره شيئا لنفسك وتحبه لغيرك ، ان تداري خواطر البعض دون الاخر ، ان تنتقد شخصا مسيئا وتغض الطرف عن الاخر ، وان تنتقد سلبية

وانت واقع بها او تحمد صفة ايجابية وان تارك لها وغير ذلك من الازدواجية في الاخلاق والسياسة والاجتماع وقد اشار امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) الى هذا المعنى لما جاءه شخص واراد منه العظة قال له : (لاَ تَكُنْ ممَّنْ يَرْجُو اَلآخِرَةَ بِغَيْرِ العَمَلِ وَيُرَجِّي اَلتَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ يَقُولُ فِي اَلدُّنْيَا بِقَوْلِ اَلزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ اَلرَّاغِبِينَ إِن أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ يَعجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ وَ يَبْتَغِي اَلزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ يَنْهَى وَلاَ يَنْتَهِي وَ يَأْمُرُ بمَا لاَ يَأْتِي يُحِبُّ اَلصَّالحِينَ وَلاَ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ وَيُبْغِضُ اَلْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ يَكْرَهُ اَلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَ يُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ اَلْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاَهِياً يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ وَ يَقْنَطُ إِذَا اُبْتُلِيَ وَإِنْ أَصَابَهُ بَلاَءٌ دَعَا مُضْطَرّاً وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلاَ يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ

إِنِ اِسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ وَإِنِ اِفْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ اَلْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ اَلتَّوْبَةَ وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ اِنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ اَلْمِلَّةِ يَصِفُ اَلْعِبْرَةَ وَلاَ يَعْتَبِرُ وَيُبَالِغُ فِي اَلْمَوْعِظَةِ وَلاَ يَتَّعِظُ فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ وَمِنَ اَلْعَمَلِ مُقِلٌّ يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى يَرَى اَلْغُنْمَ مَغْرَماً وَاَلْغُرْمَ مَغْنَماً يَخْشَى اَلْمَوْتَ وَلاَ يُبَادِرُ اَلْفَوْتَ يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ فَهُوَ عَلَى اَلنَّاسِ طَاعِنٌ وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ اَللَّهْوُ مَعَ اَلأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ اَلذِّكْرِ مَعَ اَلْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي وَيَسْتَوْفِي وَلاَ يُوفِي وَيَخْشَى اَلْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَلاَ يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِ) (نهج البلاغة) .

وسنذكر بعض الموارد والحالات الازدواجية في هذا الكتاب المختصر لكي تكون ذكرى للذاكرين.

المبحث الاول:

- رأي الدين في الشخصية الازدواجية
- رأي المجتمع الإنساني في الشخصية الازدواجية
- داء الازدواجية
- أهداف وغايات مزدوج الشخصية
- الازدواجية في التعاطي مع الاحكام الإلهية

• رأي الدين في الشخصية الازدواجية

فلا شك ان الدين الاسلامي هو دين اخلاق وتربية ويدعو الى الانسانية ويكافح مظاهر الفساد في الارض ومن ضمنها الشخصية الازدواجية وكيف لا يكون كذلك ؟ وان علة بعثة الانبياء هو لأجل نشر الاصلاح والتزكية في المجتمع وترسيخ دعائم العدل والقسط في الارض قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢) الجمعة .

لذا سعى المشرع الاسلامي في درء مظاهر التلّون والتبطين في الشخصية الانسان المسلم من خلال أوامره التي تدعو الى الشفافية والوضوح والصدق، ونواهيه الى تنهى عن النفاق والبطانة والازدواجية كقوله تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (٤) الاحزاب وقال سبحانه (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) الصف وقال (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا (١٥٢) الانعام وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ) (١١٨) ال عمران

ان من يتدبر ويدقق في هذه الآيات سيلاحظ انها تنهى عن الازدواجية والشخصية الثنائية.

ان مخاطر الازدواجية ليست بالأمر الهين والسهل حتى يُغفل عنها، او يسمح بجوازها ، فلها آثار كبيرة على شخصية المؤمن ، وعلى المجتمع وتعكس صورة سلبية على المجتمع الاسلامي ، وسيأتي الحديث أكثر في البحوث اللاحقة إن شاء اللّه تعالى .

- **رأي المجتمع الإنساني في الشخصية الازدواجية**

من الواضح أن المسائل الأخلاقية والفطرية لا يختلف عليها العقلاء وكذلك الجو الاجتماعي المعاش في المجتمعات الانسانية فطبيعة الانسان ترفض وتأبى الأخلاق السيئة والقبيحة وبغض

النظر عن أديانهم ومعتقداتهم بل ان المجتمعات الغير الاسلامية تركّز على المسائل الانسانية وعلى الكثير من المسائل الاخلاقية وان كنا نختلف معهم في بعض المسائل ولكن الذي يتابع أو يعيش في المجتمعات الغير الاسلامية وخاصة الاوروبية منها يلاحظ التركيز على المسائل الانسانية فصاحب الشخصية المزدوجة منبوذ الشخصية ويتقزز الطبع الإنساني منه لأنه متلول الطبع والتصرفات فلا يكاد يكون على حال معين مستقر ، فمثل هكذا شخصية يصعب مجاراته ، والتعايش معه فبينما تراه جميل الكلام ، طيّب الأخلاق ، عفيف النفس، الى اخره من الامور الظاهرية التي تعجب الناظر ، وفي لحظة من الغربلة ، والاختبار تظهر تلك الشخصية الثنائية المستبطنة التي كان يتستر بها في سريرته ، فتظهر على حالاتها الحقيقية القبيحة.

ثم إن الإنسان بطبعه النفسي والاجتماعي، لا ينسجم ولا يتأقلم ، ولا يصاحب، ولا يستطيع ان يتعايش مع الشخصية الازدواجية، لأنه لا يأمن مكره و بوائقه ولا يطمئن في الاستعانة به في المكاره وبوائق الدهر.

ومع ان هذا المرض منبوذ في جميع المجتمعات الانسانية جاءت تعاليم الاسلام ناهية المسلمين بالابتعاد عن هذه الخصلة الذميمة فتارة يحذر المسلمين عن هذه الصفة لأنه قادر على كشفها واظهارها وتارة اخرى نجده يحذر المسلمين من كيد المنافقين والكافرين من هذا المرض الخطير قال تعالى (وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) الانعام وقال (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (٢٣٥) البقرة) وقال (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى

يُؤْفَكُونَ (٤) المنافقون وقال (وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) سورة محمد (صلى اللّه عليه واله).

- **داء الازدواجية**

إن كثيرا من الأخلاق السيئة والطبائع الذميمة يتركها الفرد ويبتعد عنها لأنه يعلم قذارتها وكراهية النفس والمجتمع لها ، وبغض النظر عن حرمتها في الإسلام والمعاقبة عليها ، فالإنسان العاقل وصاحب النفس الشريفة فهو يجلّ ذاته ولا يعّرضها للمهانة والذلة والصَغار عند الآخرين مهما كانت الأسباب والدوافع التي يتعرض لها لأنه يعلم ان الأخلاق السيئة تخرم كيان الانسان من الداخل وتجعله لا يشعر بقيمة نفسه.

ولذا تجده يصمد امام الضغوطات والأهواء النفسية مهما عصفت به الظروف كالفقر والحاجة والمرض فيقف كالجبل

الأشم الشامخ لا يطأطئ رأسه لما تريد وترغب إليه نفسه ولذا تجده واضح الشخصية فباطنه وظاهره سيان فلا يمدح الظالم لأنه يمدح المظلوم ولا ينصر الظالم لأنه ينصر المظلوم ولا يكذب لأنه صادق ولا يخون لأنه أمين فتجده لا يتناقض في كلامه وافعاله وقراراته وخطاباته وميوله لأنه صاحب مبدأ شريف وإيمان راسخ .

فإذن فمرض الازدواجية يحطم شخصية الانسان ويسقطها شخصيا واجتماعيا وربما في أية لحظة يُكتشف أمام الناس ويعرف انه مبتلى بكثير من الامراض الاخلاقية كالطمع والجبن والنفاق والضعة وفقدان المصداقية وغيرها من الأمراض الاخلاقية .

إذن فإن داء الازدواجية هو مرض أخلاقي وعادة سيئة يجب أن تستأصل من جذورها واصولها وتُرمى في سلة المهملات والقاذورات فهذا المرض لا ينسجم مع أخلاق المؤمن.

- **أهداف وغايات مزدوج الشخصية :**

هنالك أهداف وغايات عديدة يريد اقتناصها وتحصيلها صاحب الشخصية الازدواجية:

الاولى: طلب المحبة والإجلال في قلوب الناس:

فهو يسعى من خلال هذه الشخصية المريضة ان ينال السمعة الطيبة والاجلال والاحترام في قلوب الآخرين وحتى يُشار له بالبنان والمنزلة المرموقة فيحاول ان يتظاهر بالكبرياء والمصداقية والنخوة والنجدة وما شابه ذلك من الاخلاق الفاضلة ، وقلبه مغمور بأضداد هذه الأخلاق الشريفة فيدعي ما ليس أهلا له.

فإذا جاء الجدّ وأخذت المسألة واقعيتها ظهرت تلك الأمراض تطفح على السطح فلا يهتم بعدها بتلك الغايات والأهداف النبيلة التي كان يسعى ظاهرا تحصيلها والتخلق بها ، فالان فليقولوا عنه ما يشاء ، فالمهم هو تحصيل المصالح الدنيوية التي تعلو وتُقدم لديه على المصالح النبيلة.

إن هذه الأنفس المريضة موجودة بكثرة في المجتمعات فبينما هو يسعى خلال السنوات المتطاولة في إثبات شخصيته المزخرفة والمزورة امام الناس نجده في لحظة يضحي بكل شيء لأنه اذا صمد اكثر سوف يخسر تلك الغايات الأخرى من الأموال والمناصب او العقارات وغيرها من حطام الدنيا لذا فما كان منه الا يتنازل عن تلك السمعة والمكانة الظاهرية المصطنعة ويتوجه الى محبوبه الاخر وهي الاطماع.

الثانية: الأطماع المالية:

ومن تلك الاهداف والغايات التي يسعى صاحب الشخصية الازدواجية تحصيلها ويمّثل دور الرجل البطولي والمؤمن والطيب بين الناس حتى يكسب رضاهم ويفوز بمحبتهم ، هو ان يسعى جاهدا في تحسين صورته الاخلاقية أمام الناس لاكتساب رضاهم ، لكي يقعوا في قبضته ، ويفوز بغايته الدنيوية ، فيتظاهر بالصدق والامانة والخوف من اللّٰه تعالى فاذا ائتمنوه خانهم ، وولّى مدبرا عنهم ، غير عابئ بما يقال عنه ، وبما تؤول اليه سمعته من الضعة والذلة والمهانة ، لان نفسه كانت من الاساس منخورة من الداخل ومصابة بداء الطمع والجشع والشخصية الازدواجية (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ).

الثالثة: الطمع في نيل المناصب :

وقد يعمد صاحب الشخصية الازدواجية في اظهار السمعة الطيبة، أمام انظار العامة والخاصة لأجل اكتساب رضاهم وودهم لكي ينال المناصب الحكومية والدرجات الرفيعة في الدولة او المراكز الاخرى في المجتمع وهذا الاسلوب كثير الحصول وكثير التداول في جميع المجتمعات وسيأتي لاحقا ان شاء اللّه الكلام عن ذلك أكثر.

اتضح مما ذكرناه أن صاحب الشخصية الازدواجية هو مريض بالمرض الأخلاقي والأمراض الأخلاقية هي أشد ضراوة وصعوبة من الأمراض البدنية ، فجسم الانسان اذا اصيب بعاهة وداء فإن ذلك لا يؤثر ذلك على شخصية الانسان ولا على عاقبته إذا كان رجلا صالحا ، وان الغالب في الأمراض البدنية هي أمور غير معيبة ، ولا تحط من مكانة ومنزلة

الشخص المريض ، بل العكس نجد التعاطف والشفقة تحيط به لان حالته تستدعي المداراة والرفق معه حتى يتعافى من مرضه لكن الامراض الاخلاقية لها سمعة سيئة في المجتمع ،وتنفر منها النفوس ويذمها الشريف والوضيع ، ولعل بعض الأخلاق السيئة تبقى سمعتها وشهرتها وعارها تلاحق صاحبها حتى بعد الممات .

الرابعة: لتشويه الإسلام و زعزعة إيمان المسلمين:

ومن الأشياء السيئة ان يعمد صاحب الشخصية الازدواجية في تحسين صورته امام الاخرين لأجل تدمير الاسلام من الداخل وتشويه صورته أمام العالم وزعزعة ايمان المؤمنين من خلال بث الافكار والنظريات المسمومة.

وهؤلاء الشرذمة لا يخلو منهم زمان وقد حذر القران من هؤلاء لانهم اخطر من الاعداء الظاهرين المعروفين ، لصعوبة

معرفتهم وتشخيصهم قال تعالى محذرا منهم (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) المنافقون .

الخامس: الميل مع ما يراه مناسبا مع مصلحته:

البعض لديه شخصية ازدواجية حسب ما يراه موافقا مع هواه ومصالحه ، فتراه منشرح الصدر حامدا ذاكرا شاكرا ممجدا بالدين واحكامه إذا وجد في الدين ما يتوافق مع مصالحه ومنافعه وتارة تراه ضيق الصدر كأنما يصعّد الى السماء ساخطا على أحكام الدين إذا ما وجد من القوانين الالهية ما يتعارض مع هواه ومصالحه الشخصية أو الاجتماعية قال سبحانه (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ (١٤٣) النساء) .

فلم يجعل الغاية والهدف نيل رضا اللّه تعالى انما الاساس والمحور عنده هو ارضاء نفسه وهواها قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) الجاثية .

• الازدواجية في التعاطي مع الاحكام الالهية :

لا غرابة ولا عجب ان تسمع او ترى من الناس من يتحلى بهذا الاسلوب الثنائي والازدواجي في العقيدة !! .

فحينما يقدّم العقل البشري على النص الديني ويكون هو الأساس والمرغوب والمتبع فلا غرابة عنده في تصديق ذلك !! .

ويستشكل ويعترض على الحدود المحدودة في القران الكريم قال تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩البقرة)

فيقول قائلهم اني غير مقتنع بهذه الحدود ، او انها لا تناسب زماننا او قد اكل عليها الدهر وشرب ، قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) البقرة .

ونحن في نفس الوقت لا ننكر أن بعض الحدود يصعب اقامتها لأسباب عديدة ولكن هناك فرق بين نكران الحدود والفرائض والأحكام وبين وجود الموانع تمنع من اقامتها والادهى من ذلك هو شرعنة القوانين الوضعية التي تعارض تلك الحدود والفرائض أو استيراد القوانين من الغرب.

وهذه الشخصية الازدواجية في العقيدة تصدق على كثير من الناس لأنهم من جهة يؤمنون بالله تعالى والعقائد الاخرى ولكنهم في نفس الوقت لا يروق لهم أحكامه لانهم يرونها لا

تنسجم مع اهوائهم وتتصدم مع مصالحهم الشخصية والاجتماعية ولذا يحاولون تمييع تلك الحدود والتقليل من شأنها وايجاد الاعذار والاسباب لتجميدها وعزلها عن واقع المسلمين.

فهؤلاء هم من مصاديق الشخصية الازدواجية الذين يسعون لتحليل ما حرم اللّٰه ورسوله وتحريم ما أحله اللّٰه ورسوله كتغيير فروض الميراث وتحليل بيع الخمور وتجويز فعل الفاحشة وإسقاط قيمومة الرجل وغير ذلك من المسائل التي يحاربون اللّٰه بها .

المبحث الثاني:

الازدواجية في التعامل التربوي الأسري

الازدواجية في التعامل الزوجي

الازدواجية في التعامل التربوي التدريسي

الازدواجية في المجال الصحة

الازدواجية عند البلاء والرخاء

• الازدواجية في التعامل التربوي الأسري

تعد تربية الأولاد من المسائل الحيوية والحساسة والمهمة في المجتمع الإنساني بصورة العامة وفي المجتمع الإسلامي بصورة الخاصة فهي تعد من أهم وأصعب المسؤوليات الملقاة على عاتق الأبوين، وذلك بضرورة العمل والسعي الجاد في تربية الأولاد على الأخلاق الحميدة وتعاليم الدين الإسلامي وهذا الامر يحتاج إلى شخصية صادقة ومخلصة يوافق ظاهرها مع باطنها لان الاولاد يتلقفون من الوالدين بصورة عجيبة في افعالهم وكلامهم بل حتى من حركاتهم وتصرفاتهم.

ان كل انسان عاقل ولديه اسرة يتمنى ان يربي اولاده على التربية الصالحة الفاضلة وتكون عائلته تتمتع بالأخلاق الحميدة ولكن هذا لا يتحقق بالتمني فلو بقي الوالدان في خانة ودوامة التمني والترجي دون أن يحركا ساكنا في تربية الأولاد

ستكون بلا شك هناك افرازات و عواقب سلبية على مستقبل الأولاد ومن جهة اخرى وهي المهمة في موضوعنا حيث نلاحظ الازدواجية عند بعض الآباء حيث يأمرون ولا يأتمرون وينهون ولا يتناهون فمثلا نلاحظ الأب يؤكد على الأولاد بضرورة الصدق في الحديث والابتعاد عن الكذب وإذا به يفاجئ الأولاد بكلام كاذب او يأمرهم بضرورة صون الامانة واذا يخون الامانة ويأمرهم بالورع والعفة والتقوى ويأمل بالالتزام بهذه الصفات ولكنه يخالف ما يأمرهم ويأمل منهم .

فوجود هذا التناقض في الأخلاق والسلوك كيف يمكن أن يأخذ اولاد الارشاد والنصح والموعظة من آبائهم؟ والأبناء يرون ويسمعون التناقض الفاضح في سلوك الناصح والواعظ؟ بل هذا الاخفاق يعطي المبرر والمسوغ لفعل المنكر.

فاذا نصحتهم بعدم الكذب احتج أحدهم بأنكم تكذبون ايضا فلم تنهوننا عن ذلك؟ قال تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) (٤٤) البقرة .

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتيَ مِثلَهُ

عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلتَ عَظيمُ

ابدأ بِنَفسِكَ وَانهَا عَن غيِّها

فَإِذا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكيمُ

هذه الشخصية الازدواجية هي التي تحطم شخصية الأولاد وتدعهم لا يثقون بما يقول آباؤهم.

وهناك ازدواجية اخرى يتبناها بعض الاباء والامهات وهي التمييز والتفاضل بالعطاء بين الاولاد او الاحترام البعض دون الاخر او اعطاء الاهتمام والعاطفة والمحبة بأحدهما والتغافل عن الاخر.

إن هذه الازدواجية في التعامل مع الأولاد يولد حالة من الاضطراب النفسي والحسد والحقد بينهم .

نحن نشاهد بوضوح الغيرة التي تظهر على تصرفات الأطفال إذا لاعب او مازح احد الابوين احد صغاره دون الآخر فكيف إذا تحول الأمر الى واقع حقيقي حيث يرى الابن أباه مثلا يقدم أخاه عليه؟.

قد يتساهل بعض الآباء والأمهات في هذه الازدواجية في التعاطي مع الاولاد ويعدها مسالة صغيرة وبسيطة لا تؤثر في نفسيتهم ومستقبلهم ولكن الواقع خلاف ما يتصورون فهناك اثار سلبية ربما تقع في أي وقت فان الاولاد يمتلكون الاحاسيس والمشاعر ويدركون ما يحدث امامهم من الازدواجية في التعامل.

وقد يصل الامر وهو كثير الحصول في المجتمعات الإسلامية أن الازدواجية تعمل عملها السلبي بالتفاضل في توزيع الميراث بين

العائلة الواحدة وبين الاخوة فيوصي لابنه الصغير ما لا يوصي للكبير وهناك امثلة وحالات كثيرة تحدث في الاسر وينتج هذا التفاضل والتمايز المشاكل الجمة بين الاسرة الواحدة.

• الازدواجية في المعاملة الزوجية

ان العلقة الزوجية تعتبر من أهم الركائز الاساسية في المجتمع الانساني ومن لطف اللّه تعالى انه جعل الزوجة سكنا نفسيا وروحيا للزوج أمام التحديات التي تعصف به في هذه الحياة المليئة بالفتن قال تعالى (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) الروم.

ولكن هذه الرحمة والمودة المجعولة قد يحولها الإنسان بسوء اختياره الى نقمة وحقد.

فحينما يبتعد الإنسان عن القيم وتعاليم السماء وعن مكارم الاخلاق والانسانية فهو قد فتح على نفسه فوهة من المشاكل والمصائب ومن تلكم الأسباب الخطيرة التي تنذر العلقة الزوجية بالانهيار والانفصال هي الشخصية الازدواجية.

فما أكثر الذين يمثلون الشخصية الثنائية في علاقاتهم وارتباطاتهم مع الاخرين ، فبينما تراه حسن الصحبة عسول لسان مجامل من الطراز الأول ساعيا في الحاجات كريما في الملّمات والأزمات كل هذه الصفات والأخلاق طيبة وعظيمة ومحبوبة عند اللّه ولكن صاحب الشخصية الازدواجية يختصرها مع الآخرين دون زوجته وعائلته فهو كريما مع الآخر وبخيل مع اقرب الناس اليه .

فهو يتحمل الاذى والتجاوز من الاخرين حتى لا يخسرهم او يجرحهم ولكنه بحاّث وقنّاص عن الزلات والعثرات لإيذاء

زوجته ولا يغفر لها ذنبا ولا يقبل له عذرا وذرب اللسان بالسوء .

فحينما يفتقر الشخص للمبادئ والنبل ويفتقد النهج القويم لكي يسير عليه ولا يتكأ على أساس رصين من القيم وليس له دين يحجزه عن هذه الشخصية الازدواجية فهذا شخص سطحي بامتياز فلا عجب أن تصدر منه هذه الافرازات السلبية .

ومن مصاديق صاحب الشخصية الازدواجية انه يرضى لنفسه ما لا يرضى لزوجته فله مطلق الحرية فيما يفعل ويتصرف ويقرر ويعطي ويمنع اما الطرف الاخر عليه ان يصمت ويخرس ولا يعترض !! .

هذه الثنائية والبينونة بين الحالتين يكشف بوضوح أنه تصرّف في أمرين مغايرين فهو صاحب شخصية الازدواجية ويمتلك

شخصيتين متناقضتين يعملها حسب هواه ورغبته ولذا فإن أغلب مشاكل الطلاق الحاصل بين الازواج يرجع الى هذا التناقض العجيب والمريب.

والانسان يحب ذاته ويميل اليها ويسعى جاهدا في تحصيل الاشياء سواء بالحق او بالباطل ومن هنا سعى المشرع الاسلامي لمعالجة هذه الانانية وحب الذات عن طريق الترغيب والترهيب قال تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢) ال عمران وقال سبحانه ((فَأَمْسِكُوهُنَّ بمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بمَعْرُوفٍ) (٢٣١) البقرة) وقال تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ١٩ البقرة وعن ان النبي (صلى الله عليه واله) قال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ..

ومن الامثلة لهذه الشخصية الازدواجية هو الميل الى احدى زوجاته بالعطاء والاهتمام والاجلال بينما يهمل ويجور ويظلم الاخرى أو يخصص الأوقات الكثيرة ويخمط حق الاخرى او يسامر ويمازح هذه ويغفل ويتجاهل تلك مع انه يستطيع ان يعطي الاخرى مثل الأولى.

ومن جهة اخرى نجد الزوجة تبذل ودّها واحترامها ووقتها واهتمامها الكثير إلى أرحامها وصديقاتها ولكنها تتغافل عن زوجها وخاصة هذه الأيام التي كثر فيها الاهتمام بالزينة وإظهار الجمالية حيث نرى بعض النساء تبذل المال على زينتها وتعطي من وقتها الكثير لتخرج امام الناس بصورة جذابة ولكنها وللأسف لا تبذل ذلك لزوجها.

هذه امثلة واقعية تعكس الصورة الحقيقية للشخصية الازدواجية والثنائية التي تتحرك في جانب الإفراط والتفريط.

هذا الاسلوب هو منبوذ شرعا وعقلا وعرفا واخلاقيا ، مع ان الانسان لم يخلق لهذه الكيفية المزدوجة ولم يطالب ان يكون بهذه الكيفية بحيث يأخذ جانب الافراط مع طرف وجانب التفريط مع طرف اخر انما طلب من الانسان ان يكون في كل افعاله وتصرفاته مستقيما وعادلا ومنصفا وتقيا مع الجميع ويعطي كل ذي حق حقه ولا يبخس شيئا .

وهذا التمايز والتفاضل بين الاخرين من دون وجه شرعي وعقلي انما هو لعدم وجود الانصاف في التعامل وبالتالي يؤول الى الفساد في الارض قال تعالى (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) الشعراء وقال سبحانه (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) المطففين.

فالبعض اذا كان له حق على الاخر يأخذه منه بقوة ولا يتنازل عنه مهما كلف الامر ولكنه اذا كان عليه حق لأخرين يسرق حقوقهم سرا وعلانية ولا يكترث بالعواقب السيئة والاثار الوضعية في الدنيا قبل الاخرة قال تعالى (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) النور .

• الازدواجية في التعامل التربوي التدريسي

إن الهيئة التعليمية لها أهمية كبيرة في المجتمع الإنساني حيث تمارس دورا كبيرا في تخريج العلماء والمثقفين في جميع حقول الحياة ، والأمة ترتقي وتصل إلى ذروة المجد والعطاء والتقدم بعلمائها ومثقفيها ولكن التعليم كغيره من متطلبات الحياة ، يحتاج لتحقيقه ونتاجه وثماره الى مقدمات وشروط كثيرة ومن

أهمها الاخلاص في العطاء والتفاني في العمل على مستوى ونمط واحد من دون تمايز وتفاضل بينهم .

ولكن داء الشخصية الازدواجية ما كاد يخلو منه مكان فحتى في هذه الشريحة التربوية والتعليمية التي تخرج الكفاءات وتقّوي المواهب واذا بها يصاب بعض كوادرها وافرادها بالشخصية الازدواجية فنلاحظ الثنائية في التعامل مع الطلبة والتمايز بينهم لمحسوبات وأسباب كثيرة .

فالمعلم هو بمثابة الأب للجميع والطلاب بمثابة أولاده فلا ينبغي ان ينظر إلى أولاده بنظرة شخصية وفردية إنما ينظر إليهم نظرة ابوية شمولية وللجميع من دون تمايز بينهم في العطاء والاهتمام والمحبة.

ولكن النفس الإنسانية إذا لم تتربَ على الأخلاق الحميدة وإذا لم تخف اللّٰه تعالى فهي معرضة الى الزلات والسقوط والفشل لأن العلم لا يحصن الفرد من الهفوات والعثرات.

وما نشاهده من السلبيات الموجودة في بعض الكوادر التعليمية حيث ان الاستاذ يقصر في واجبه التعليمي والتربوي والإرشادي وفي دوامه الرسمي لغايات وأهداف مريضة .

فمن تلك الأهداف هو تعمده المقصود في أداء واجبه الوظيفي والأخلاقي والشرعي لأجل أن يضطر الطالب أن يراجعه لأخذ الدروس الخصوصية عنده!!.

ومن تلك الازدواجية عدم تعامله مع جميع الطلبة على نحو المماثلة والمساواة في الاهتمام والاعتناء إنما لديه قيود ومحسوبيات كثيرة من العلاقات الشخصية والمادية والعائلية والحكومية.

إن التعليم والتدريس ليست بالمسألة الهامشية والسطحية حتى يمكن التساهل والتغافل فيها فإن التقصير فيها يؤدي الى نشوء الفساد في أهم مؤسسة تربوية اجتماعية انسانية تعليمية وينعكس بالتدريج على جميع مؤسسات الدولة ثم على الأخلاقيات المجتمع وتعم الفوضى في البلاد .

أن صاحب الشخصية الازدواجية في التعليم يحب الخير والسعادة لأبنائه ويتمنى لهم الشهادات العالية ويبذل كل ما لديه من أجل نجاحهم وتفوقهم ولكنه في نفس الوقت لا يؤدي وظيفته بصورة صحيحة ويقصر في حق الطلبة والمتعلمين لأنه فاقد الأبوية لهم، فأبويته مختصرة على أبنائه في البيت وقلبه وعقله وميوله محدود وضيق وامات سعة فكره وعقله ، وقيّدها في دائرة ضيقة.

ومن هنا تتضح خطورة صاحب الشخصية الازدواجية على جميع مفاصل الحياة وعلى راسها الجهة التعليمية وان لها انعكاسات خطيرة على المجتمع ، فالمشكلة لا يختصر ضررها على صاحب الشخصية الازدواجية إنما لها تداعيات كثيرة على الناس والمجتمع ولها اثار نفسية وصحية واقتصادية واخلاقية وغير ذلك من المخاطر التي تنتج من هذه الافة.

ولذا كانت أهم ركيزة ودعامة اكد عليها الدين الاسلامي لما اراد تأسيس دولته الاسلامية هو الجانب التعليمي والاخلاقي قال تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) العلق وقال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢) الجمعة .

فان بناء المجتمع الفاضل الذي يتسم بالعلم والحكمة والاخلاق لا يتسنى لأحد تحقيقه ما لم يكن هناك الإخلاص والوفاء والتضحية والرفق والرحمة والجدية والحب.. الخ

ومن هنا يجب استئصال داء الشخصية الازدواجية من النفوس والمجتمع لأنه مرض خبيث اذا ولج في المجتمع فانه يعرضه الى الهلاك و الجمود والتقهقر كمرض السرطان إذا أصاب جسم الانسان فإنه يرديه قتيلا .

- **الازدواجية في المجال الصحة**

إن الشخصية الازدواجية لا تكاد تترك مفصلا من مفاصل الحياة إلا وقد ولجته واصابته بعدوتها المهلكة فمن تلك المفاصل المهمة في حياة الإنسان هو مجال الطب والصحة.

فمن الواضح والمعلوم أن معالجة المرضى وشفائهم من المسائل الانسانية والاخلاقية قبل ان تكون مسالة وظيفية مهنية يعيش

عليها الطبيب والممرض وباقي الكوادر الملحقة بهذه الوظيفة الإنسانية الملائكية التي تحدوها الرحمة والشفقة وإنقاذ أشرف كائن على وجه البسيطة وهو الانسان.

ولكن هذه الوظيفة لا تخلو من صاحب الشخصية الثنائية الذي يخالف سياق الوظيفة وسياق الانسانية والاخلاقية والدينية في تبني مسلكا مغايرا لتلك المسالك الشريفة والعظيمة هو مسلك الانانية والمحسوبية والاهمال والتفاضل بين الناس.

ان صاحب الشخصية الازدواجية في هذه الوظيفة الشريفة يكشف لنا أنه يتمتع بنفس دنيئة وخسيسة ووضيعة حيث انه ينطلق من منطلق دنيوي بحت حيث انه يقدم العون والاهمية والاهتمام لشخص مريض لأنه تربطه معه رابطة رحيمية او لأجل مال او منصب او لأجل منفعة اخرى فيقدم له العناية اللازمة والاهتمام الكبير وتجد الابتسامة تعلو محياه والمجاملة

تكاد لا تنفك عنه ولكننا نراه وللأسف يتكاسل ويهمل ويغفل المريض الفقير المستضعف الذي لا حول له ولا قوة وفي نفس الوقت تجد العبوس والتجاهل والسكوت والاعراض واللامبالاة من صاحب الشخصية الازدواجية.

ومن اخلاق صاحب الشخصية الثنائية انك ان راجعته في عيادته أو جئت به الى بيتك تجده شخصية مغايرة تماما لما تراه في اثناء وظيفته الحكومية لأنه يجني المال في عيادته اكثر ما يجنيه في وظيفته او يشعر أن تلك وظيفة عامة وهامشية يأتي إليه من هب ودب ولكن هذه عيادتي ومكتبي وتحمل اسمي الكبير وعلاوة على ذلك أنه تدر علي المال الكثير الذي يضاعف بكثير مما اكسبه في المستشفى العامة فتجده في عيادته منشرح الصدر كثير السؤال والنصيحة والابتسامة لا تفارقه فهو كريم في غاية الكرم في عيادته الخاصة ولكنه في غاية البخل والعبوس والتجاهل في وظيفته الحكومية .

هذه الحقائق الواقعية نلمسها عند الكثير من هؤلاء الأشخاص الازدواجين الذين لا يجلون أنفسهم ولا يتعاملون بالإنسانية والمهنية في وظيفتهم ويتسببون في نشر الفساد ويعرضون أرواح الناس للخطر وتنشأ حالة من الطبقية والعنصرية والأنفة والاستعلاء .

مع العلم ان هذه الوظيفة تعد من أنبل وأشرف الوظائف حيث أنها بطبيعتها فيها جنبة انسانية بحتة وتحتاج الى بذل الاهتمام الكثير للمريض وأن اي تقصير في هذا الجانب يعد خيانة للأمانة الالهية ومخالفة للقوانين وتعديا على حقوق الانسانية. أن صاحب الشخصية الازدواجية اذا ما تمرض احد من اولاده او احد من اقربائه- يقوم الدنيا ولا يقعدها - ويقوم له بكافة المستلزمات المطلوبة لأجل شفاءه ولكنك تراه مماطلا ومتكاسلا مع الضعيف الفقير.

فهذه امور وحقائق واقعية لا نبالغ فيها ولا ندعي شمولية هذا المرض إنما هنالك اشخاص يمكن ان نطلق عليهم انهم اصحاب شخصية ازدواجية ثنائية لا يخشون اللّه في عملهم ولا يعملون بمهنية واخلاقية بمستوى واحد مع الناس إنما يعملون بازدواجية ومحسوبية و دنيوية بحتة .

- **الازدواجية عند البلاء والرخاء**

ما أكثر الذين ينساقون خلف رغباتهم ومصالحهم الضيقة فهم راضون عن اللّه ما دامت حياتهم فيها سعة وغنى وعافية ولكنهم اذا ما ابتلوا بالفقر او المرض وغيرها من البلايا فاذا بهم على اللّه يسخطون وعلى قضائه وبلائه متهمون قال تعالى(فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)

الفجر وقال سبحانه (فَإِنۡ أُعۡطُوا مِنۡهَا رَضُوا وَإِنۡ لَمۡ يُعۡطَوۡا مِنۡهَا إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ (٥٨) التوبة .

ان صاحب هذه الشخصية هو ازدواجي بامتياز ليس له اساس ومنهج قويم يسير عليه انما منهجه ومبادئه هو المصلحة والمنفعة الدنيوية يقول الامام الحسين عليه السلام (إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعْقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ" .

ما المؤمن الذي تعلق وانعقد إيمانه بالله وعرف عن الله وفهم ان هذه الدنيا هي معبر قصير يجب عليه أن يتحمل اشواكها وحزونتها وان الله قد أعد للصابرين والمتوكلين الأجر العظيم.

فكم طالب للغنى طغى وفسد وهوى وكم طالب للرئاسة ظلم العباد وافسد البلاد وكم من نعمة زويت عن طالبها وراغبها كانت له رحمة ونعمة وهو جاهل يسعى جاهدا اليها وكم من

فقير عاش سعيدا ومات مأجورا محتسبا فلا مال يملك حتى يخشى كساده وفساده ولا منصبا يخاف زواله.

اما اصحاب الشخصيات الازدواجية فهم على أحوال وأقسام فبعض عند الغنى والسعة هو راض وشاكر عن اللّٰه لأن الأمور تسير وفق هواه ولكن إذا افتقر تظهر عليه علامات السخط والانزعاج والبعض الاخر مادام لم يخسر مكانه ومنصبه فهو راض عن اللّٰه وتجده مسرور البال منشرح الصدر اما إذا فقده اقام الدنيا ولم يقعدها كأنما انتهت الحياة وان السعادة وراحة البال لا تكون ولا تنال الا بالمناصب والبعض عند الفقر والمرض والضيق المعيشة فهو ساخط عن اللّٰه فهو يظن ان الدنيا يجب ان لا ينالها الفقر والحاجة! فهو يريدها كالآخرة لا يصيبها سخط ولا نصب!

هذه الازدواجية تكشف ان هنالك خللا في المنظومة العقدية وضعفا في الايمان والا فالمؤمن الحق يسير على نهج القران الكريم الذي مدح واثنى على الصابرين قال تعالى (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) التوبة وقال سبحانه (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) البقرة

المبحث الثالث :

الازدواجية السياسية

الازدواجية في الحكم

الازدواجية مع القرآن

الازدواجية في الخطاب

- **الازدواجية السياسية**

إن من أكثر الناس وقوعا في مرض الشخصية الازدواجية هم شريحة السياسية ظنا منهم ان المكاسب والمنافع والمصالح لا تنال الا عن طريق السياسة الازدواجية وقد اطلق عليها اليوم (فن السياسة) .

وزعم البعض أن هذا الفن لا يستطيع اي شخص ان يكون ناجحا فيه وان يلعب دوره بصورة صحيحة الا من لديه قدرة ومكانة في (فن السياسة).

نحن لا ننكر ان السياسة لابد لها من شخص متمكن فيها ويتملك الخبرة والثقافة والعلمية الكافية لكي يخدم بلده وشعبه ويدفع عنهم مكائد الأعداء، وقد كانوا الأنبياء والقائدة الربانيين على مر التاريخ سياسيين من الطراز الاول .

ولكن هناك خلط في المسألة فهناك سياسة لا تعرف الدين والاخلاق والانسانية وان كانت تجر النفع الى البلد والشعب فليست كل سياسة يجب أن تحترم وان يرفع قائدتها على الأكتاف لانهم نفعوا البلاد على حساب القيم والمبادئ البغي والتعدي على الآخرين فهذه سياسة ازدواجية وثنائية .

فالسياسة المرفوضة هي التي يقع فيها الكذب والخداع والمكر والخيانة مع الاخرين وان كانت صادقة ومخلصة وامينة مع شعبها ووطنها فالكذب والخيانة والمكر أمور مستقبحة لا يقبلها الشرع ولا العقل ولا الفطرة الانسانية ولا تبررها الاحداث السياسية الجارية في الواقع المعاش.

اليوم وللأسف أصبح السياسي المحنك والمحترم هو الذي يستطيع أن يكذب ويراوغ ويخدع ويخون الآخرين.

فالذي يصدق مع شعبه واهله ووطنه ولكنه يكذب مع غيرهم فهو شخصية ازدواجية لأنه تعامل بوجهين ولسانين فهو شخصية متناقضة وان صفق له شعبه ونحت له تمثالا وكتب له الكتّاب ومدحه الشعراء والادباء، فهذه الشكليات لن تخرجه عن دائرة الازدواجية.

فالقيم والاخلاق الحسنة لا تمحيها وتزيلها الأعذار والمسوغات، والأخلاق السيئة لا تجوزها وتجيزها السياسة والمصالح.

أن صاحب الشخصية الازدواجية في السياسة ، لا ضير لديه ان نقض العهود والمواثيق ، مادامت غاياته واهدافه يصل اليها بتلك الازدواجية ولا يشعر بتأنيب الضمير مادامت مصالحه لا تتعرض للخطر والتهديد ولا يشعر بالإحراج والخجل إذا قام بإشاعة الفاحشة والبهتان والزور في حق الآخرين مادام

ذلك يعد من فن السياسة التي يجوز فيها بحسب زعمهم كل شيء وإن كان مخالفا للأعراف والأخلاق والأديان.

ان السياسة عند الشخصية الازدواجية تعتبر عملا نبيلا وعظيما ولو على حساب تدمير امة من الناس وتجويع شعبها واكل خيراتها وتهجيرها في قفار البلدان بتعريضها لهجير الشمس وقسوة صقيع البرد، فيعطف عليهم الغرباء بأقراص من الخبز وعلب المياه فتعسا لهكذا سياسة عوراء التي لا تعرف الرحمة والشفقة الا لحزبها ومواليها وشعبها ام الشعوب الاخرى فتسحق تحت اقدامهم.

أن ذوي الشخصيات الازدواجية يدّعون الحرية والمساواة والعدالة ويطلبونها ويوعدون شعوبهم بتحقيقها وربما يكونون صادقين فيما يدعون وينجزون ما يوعدون ولكنهم يحققونها

على حساب امتصاص خيرات الشعوب الاخرى وعلى حساب كبت وسحق حقوق الاخرين ولسان حالهم (انا ربكم الاعلى) .

- **الازدواجية في القوانين والاحكام**

ان المراد بالقوانين ما تعم أية مسألة أو قضية من القضايا سواء كانت في المسائل الفقهية أو المسائل الاجتماعية والسياسية والاخلاقية فهو بالنتيجة قانون وحكم صادر في نفس الأمر والحاكم وإن كان يوجد تفاوت بين الجميع.

ففي كل مورد وفي كل مجال من مجالات الحياة هناك قانون وحكم سواء كان ايجابيا او سلبيا ولكن الذي يهم موضوعنا وهو الشخصية الازدواجية في الحكم حيث هنالك شريحة كبيرة في المجتمع ممن وقعوا في هذه الازدواجية ولا يكاد يخلو مفصل من مفاصل الحياة إلا وفيها هذه الازدواجية.

فمن موارد هذه الازدواجية هو أن يحكم شخص على شيء بالإيجاب ويتخذ قراره في المسالة ويظهر قناعته وحكمه أمام الاخرين وبينما ترد عليه عين المسالة واذا به يحكم فيها بالسلب والرفض.

هذه الازدواجية ما جاءت من فراغ ولهو إنما هنالك اسباب كثيرة وعلى رأسها المنفعة او التكبر او البغي وحب التسلط وفقدان المعايير الصحيحة وغير ذلك من الأسباب فقد يسمح للغربي أن يأخذ كامل حريته في غير موطنه وتعطى له الكثير من الامتيازات والصلاحيات بينما ابن البلد يحرم الامتيازات عينها.

ورب شخص يسرق ويحتال وله منزلة مرموقة ومحترمة في الدولة والمجتمع ولكن يغفل عنه او تتخذ بحقه إجراءات هامشية ويخرج معززا مكرما بينما الانسان الفقير لو وقع في

نفس البلاء لكانت الإجراءات بحقه ظالمة وشديدة ورأى المهانة والذلة وهذه كلها من موارد الازدواجية.

إن فقدان القيم والأسس الحقة والانجراف خلف المصالح والمنافع وجعل معايير للتفاضل كالقومية والدينية والمذهبية وغيرها فهذه المعايير والشروط هي من أوضح المعالم الازدواجية في الحكم والتي أدت إلى بروز القوانين الباطلة و المجحفة بحق المظلومين.

ان هذه الواقع المرير يبين لنا ولو بصورة اجمالية ان اصحاب الشخصية الازدواجية لم يتربوا على قيم الإسلام الذي لا يفرق بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير والقوي والضعيف فالكل سواسية في الحكم إنما هؤلاء استغلوا اسلام الشعوب وشعار الإسلام وادعوا انهم من المدافعين والخادمين للدين ولكنهم سرقوا واستولوا على الدنيا بالدين .

فالتفاضل بين الناس يشكل خطرا كبيرا في المجتمعات وتفرز مشاكل جمة بين صفوف المسلمين حيث تنعدم الثقة بين الحاكم والمحكوم وتضعف الشعور بالمسؤولية وتنتشر ثقافة اللامبالاة بينهم .

فلنكن من الشجعان ونعترف بالحق بأننا اليوم نعيش في ذروة زمن الازدواجية ، وازمة الازدواجية تعم جميع مفاصل الحياة حيث فقدنا المصداقية والمساواة والعدالة أمام شعوبنا الاسلامية وان الغرب كان صادقا ومخلصا مع شعبه فلا وجود الامتيازات والتشريفات المانعة من اقامة المساواة وتحقيق العدالة ومحاسبة المقصر أياً كانت هويته ومكانته فالكل يخضع لسلطة القانون بل نرى أن المسؤول اكثر محاسبة ومراقبة وتحقيقا من غيره .

ان الازدواجية ليست صعبة الحدوث فيستطيع الكثير من فاقدي الضمير والدين والاخلاق ممارستها بصورة يسيرة ولكن اذا فقد الدين وفقدت الأخلاق من ذوي الشخصيات الازدواجية فلا خلاص من ذلك إلا أن تضرب الدولة والقانون بالقوة على هؤلاء النفوس المريضة اما اذا كان رب البيت بالدف ناقر ....فعلى الدنيا السلام .

- **الازدواجية مع القرآن**

فلا غرابة ولا عجب ان قلنا ان صاحب الشخصية الازدواجية قد وقع في الازدواجية حتى مع أعظم كتاب سماوي عند المسلمين باعتبار كتاب اللّه تعالى نزل لمهمة عظيمة وهي تربية النفوس وهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل والأخلاق الفاسدة الى نور التوحيد ومكارم الاخلاق اما حال اتخاذه اداة لتعمير الدنيا أو تقييد عمله بالأمور الصغيرة التي

لا ترقى الى مستواه ومكانته الشريفة مع الإيمان به أنه كتاب منزل من السماء فهذه من اوضح مصاديق الازدواجية.

فالازدواجية تحقق في الشخص حينما يتعلم علوم القران ويفهم مقاصده ويتلو آياته ويحفظه على ظهر قلب ولكنه لا يعمل بتعاليمه ولا يتقيد بحدوده وتشريعاته.

إن أصحاب الازدواجية يتلون الآيات القرآنية في كلماتهم وخطاباتهم واحتجاجهم أمام الآخرين ولكنهم يناقضون ما يقولون ويدعون! وقد يصل الامر الى يقسمون به وافعالهم تحنث ، بل الادهى من ذلك ان تستخدم الآيات القرآنية في الباطل والظلم حيث يوجهون الآيات حسب هواهم ومصالحهم.

مع العلم ان من اهداف القران الكريم هو القضاء على الازدواجية في الافعال والاعمال والاقوال كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) الصف وقوله تعالى (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) الانعام .

ان المسلمين لو اخذوا بتعاليم قران الكريم بصدق وامانة وعملوا بتعاليمه لما وصل بهم الامر الى ما نراه اليوم من الذلة والصَغار وأصبحوا طعمة لكل طامع .

فان الازدواجية مع كتاب اللّه هو الذي ادى بنا الى هذا الحال المرير حيث اُستوردت القوانين الوضعية وجاءوا بها من البلدان التي اغلبها تسير مع هوى الانسان وتناقض تعاليم القران كالمعاملات الربوبية واحكام الميراث والحضانة واحكام الجزائية والمثلية وغير ذلك فصدق على الكثير قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ

(٢٨) ابراهيم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) ال عمران .

إن اللّه تعالى حينما أنزل كتابه يريد من الناس أن تكون جميع قراراتهم وافعالهم واقوالهم وتحركاتهم نابعة من القرآن فلا تخالفه ولا تناقضه ، وهذا لا يعني عدم الاستفادة من تجارب وعلوم والاخرين والاخذ بتطورات العصر انما النقطة الاساسية والجوهرية في عدم الوقوع في الشخصية الازدواجية هو عدم الأخذ بشيء مخالف لأهداف وتعاليم القرآن الكريم.

إن تعظيم القرآن لا يختصر في جعل القرآن في مسجد أو مكتبة لكي يقرأ ولكيلا يعلوه الغبار او صيانته من التلف والاهانة فهذه امور مطلوبة ولكنها لا ترقى الى مستوى اهداف القران! فهذه الامور لا تعطي الحصانة من الوقوع في الازدواجية فكم من قارئ للقرآن والقران يلعنه لأنه يجور ويظلم ويبغي على

الناس أو يتعامل بالربا أو يشرع قوانين وضعية تضاد شرائع السماء.

- **الازدواجية في الخطاب**

إن خطاب يعد سلاحا هاما على الصعيد السياسي والديني والاجتماعي وله دور كبير في التأثير وتغيير الافهام والقناعات والافكار بل له دور فعال في تغير الاحداث مهما تصورناها صعبة ومستحكمة فالخطاب يؤثر فيها ويكون في كثير الأحايين اقوى وانجح في تحقيق الأهداف ونيل الغايات من القوى الميدانية والعسكرية.

فرب خطاب من خطيب صادق بارع يغّير امة ضالة في غيها وفكرها المنحرف ورب خطيب محنك يدفع كيد الاعداء عن شعبه او يجلب الخير والنفع لها ورب مفكر لامع يهدي الناس الى طريق الهداية والحق.

وان الخطاب ليس أمرا متاحا للجميع فهو يحتاج الى ذكاء واسلوب وفن وطريقة فنية في الالقاء وتناول القضايا المهمة والحساسة وكيفية طرحها بأسلوب يجعل الحاضرين والمستمعين أكثر اندماجا وتأثرا به .

ولكن هذا الأسلوب البارع والمؤثر والفني في الخطابة يحوّله الكثير من ذوي الشخصيات الازدواجية الى اداة تخريبية في المجتمع وذلك بتناقض خطاباتهم وارشاداتهم وتوجيهاتهم فبينما تسمع حاكما سياسيا محنكا وبارعا في الخطابة يتحدث عن الحرية والديموقراطية وضرورة احترام الحريات ولكنه وللأسف تجده بعيدا كل البعد عن تلك الخطب الرنانة التي يأنس السامع بخطابه وحديثه .

وكذلك الكلام يشمل الخطيب الديني والمعلم والمثقف والمربي والاب فبينما نرى البعض يعظ الاخرين بخطابه الجميل

والمعسول ولكن واقعه الحقيقي لا يتوافق مع ظاهره فيخدع الاخرين بكلامه ومواعظه ولكنه يخادع نفسه فتراه يتكلم عن مكارم الاخلاق كالإخلاص والامانة والصدق والعفة وغير ذلك واعماله وافعاله تناقض اقواله قال تعالى (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) البقرة وقال سبحانه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) النساء(١٤٢) .

ان هذه الازدواجية في الخطابة من اشد الاشياء ضررا في النفوس وفي المجتمع

فلها تأثير سلبي كبير على الناس وذلك حينما تكشف لهم حقيقة تلك النفوس المريضة المتناقضة ولذا ورد المقت والسخط الشديد من الله لمن اتصف بهذا الداء الخطير قال تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) الصف وقال سبحانه

(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) البقرة

والحمد لله رب العالمين .